الخاتمـــة :

أن الحضارات الشرقية القديمة قد أثارت المشكلات الفلسفية الكبرى،وكانـــت تحتـــوي الفلســـفة والفكر،وكان لديها مثل غيرها من الحضارات فلاسفة ومفكرون تصـــدوا لمشـــكلات الطبيعـــة ونشـــأة الكون،وفكروا بالمسائل المتصلة بما وراء الطبيعة،واهتموا بقضايا الإنسان وتحليل طبيعته،وقـــدموا تصـــورات مختلفة الواحدة منها عن الأخرى،وذلك على صعيد الحضارة الواحدة لتلك المشكلات. ولكـــن بطريقتـــهم الخاصة ووفقاً لطبيعة المكان والمناخ الجغرافي ،ولطبيعة الزمان المتمثل عندهم في الماضي والحاضر أكثـــر مـــن المستقبل ، بل وما بعد الحياة ذاتها .

فقد رأينا في سياق بحثنا في **الحضارة المصرية القديمة** ، أن المفكرين في هذه الحضارة كانوا قد انتهوا من بحوثهم فيما وراء الطبيعة إلى القول بمفهوم مجرد أزلي خفي وغامض، ذو قدرة مطلقة ، واعتبروا أن تلك القدرة هي العلة والقانون التي انبثق منها العالم،كما أن هؤلاء المفكرين في محاولاتهم إظهار الخصائص المتنوعة لذلك المفهوم الغامض-من أجل أن يتمكن البشر من الإتصال به- رمزوا إليه برموز واضحة تظهـــر لكافـــة البشر،إلا أن تلك الرموز لم تكن أكثر من طرق متنوعة وغير كاملةحاول من خلالها مفكرو الحضارة المصرية الإحاطة ببعض الصفات المتنوعة لذلك المفهوم المطلق.

و لم يكتفِ المفكرون في هذه الحضارة بهذا فقط، بل ارتقوا بتفكيرهم ووصلوا إلى صورة قوية مـــن العقيدة الحلولية،فالإله الرئيسي، بالنسبة لهم، كان شخصية إلهية واحدة ذات عدة وجوه، فهو يظهر في الكون من خلال مجموعة كبيرة من الصور،والتي تعبر كل واحدة منها عن قدرة ربانية متميزة ذات اسم إلهي خاص.

كما رأينا ،المدى العميق من التعبير والإدراك الذي وصل إليه تفكير أخناتون،فهذا الملك الشاب كان أول مفكر يتجاوز مرحلة التوحيد المشوبة إلى مرحلة توحيد حقيقية،وهو في محاولته هذه لم يكن رجلاً خيالياً أو حالماً،وإنما كان ذا تفكير ديني منهجي منظم يحكمه العقل.

إلى جانب ذلك فقد تناول المصريين القدماء مشكلة الخلق، و توصلوا إلى :

١- إن الماء هو العنصر الأساسي الذي انبثق منه الكون،والماء بالنسبة لهم،كان كتلة هيولانية أزلية بلا شكل أو صورة تمتد في كل الإتجاهات.

٢- توصلوا إلى القول بمفهوم الخلق عن طريق الكلمة الإلهية الفاعلة.

فقد بينوا لنا من جهة أولى بأن إله الخلق بعد أن أدرك نفسه في تلك الكتلة الأزليـــة،نطق الكلمـــة الإلهية،فظهر إلى الوجود بإرادته الخاصة،وما تجدر الإشارة إليه أن هذه اللحظة-أي اللحظة التي أدرك فيها إله الخلق نفسه-كانت تمثل بالنسبة لهم اللحظة الفاصلة بين الوجود والعدم،النظام والفوضى،الكون والخواء .ومن

جهة ثانية بينوا أن العالم بعد أن كان فكرة موجودة بالقوة في العقل الإلهي،فإن الإرادة الإلهية أخرجته عن طريق الكلمة إلى نطاق الفعل،وليس هذا فقط بل اعتبروا أن تلك الكلمة هي القانون(اللوجس) الذي يسري في الكون ويمنحه الوجود وينظمه ويحكم الحركة والصيرورة الكامنتين فيه بوصفة علة لهما.

٣- أكدوا فكرة حلول الله فى العالم.

٤- أبدعوا فكرة الفيض،فمن خلال الفيض انبثق العالم الإلهي،الذي انبثق منه العالم الفيزيائي.

وفي الحقيقة لم يقتصر مفكروا الحضارة المصرية على هذا فقط،بل حاولوا فيما قدموه من تصورات الإحاطة بالجوانب المتعددة للإنسان،فبينوا من جهة أن الإنسان مكون من اتحاد وتآلف مجموعة من العناصر الروحية،ومن سند مادي يعتبر بمثابة الجوهر الرئيسي المقوم لتلك العناصر،وقالوا من جهة ثانية بخلود الروح ، فالروح الخيرة بالنسبة لهم والتي واظبت على فعل الخير،و لم تقترف أية معصية من المعاصي في حياتها الأرضية، ستنخرط في الدورة الكونية،وتصبح واحدة من أولئك الذين يركبون مع الإله الخالق في مركب واحد. وإنها ستحقق بهذا الشكل حياتها اللانهائية.

كما أنهم اهتموا بالإضافة إلى هذا الجانب،بالحياة الأخلاقية وحاولوا جعل الحق والصدق والعدل جوهر الحياة الإنسانية.

فقد كانت الحضارة المصرية أول من اهتم بهذا الجانب للإنسان،وكما بينا فإن المفكرين في مصر القديمة كانوا يحثون الإنسان على التقيد بقواعد السلوك المهذب،فبينوا له آداب التعامل مع الآخرين، وحاولوا كذلك خلق النموذج الصالح للموظف المثالي،وفي هذا الإطار شددوا على ضرورة تجنب الطمع والغش.

وكذلك فإن الإنسان المصري عندما وجد نفسه ملقى في عالم خالٍ من القيم ،بدأ يعرف القلق والشك ويتسائل حول الغاية من وجود هذا العالم،ونتيجة لهذا الوضع ،ظهر أول فكر احتجاجي ،هذا الفكر الذي رفض الوضع القائم،وسعى إلى وصف حالة الدمار التي آلت إليها البلاد،و لم يقتصروا على هذا بل سعوا إلى إيجاد نهضة شاملة لكل جوانب المجتمع.

وكذلك رأينا كيف انتهى **المفكرون في الهند** من تأملاتهم إلى صياغة مجموعة من النظريات ذات طابع منهجي منظم . ورأينا كذلك بأن الموقف النقدي المعتمد على العقل كان وسيلة فلاسفة الهند في إثبات حقائقهم.

ففي حين انتهت تأملات البعض منهم إلى القول بنظرية واحدية عن الوجود،فإن آخرين رفضوا هذا وقدموا عوضاً عنها نظرية ثنائية،وليس هذا فحسب بل كان هناك من ينكر هذين الرأيين.

فأنصار الإتجاه الأول أي أصحاب التفسير الواحدي،قالوا من جهة بأن الوجود المتعدد بصوره والمتكثر بألوانه هو وجود غير محكم ومحدد ،وهو يعتمد في حقيقته على مجال آخر ذو خاصية مختلفة تماماً،وهذا المجال الآخر هو القاع التحتي والأرضية الثابته غير المتغيرة وراء كل الأعراض المتغيرة،وهذا الواقع الأزلي أو الروح

والجوهر الداخلي كان بالنسبة لهم واقع غير مشخص وغير محدد ويكمن خلف كل المفاهيم والتصـــورات، كما أنه بلا هيئة أو شكل أو اسم وبلا خصائص أو صفات،إنه الحقيقة الوحيدة وراء حجاب الوهم والكثرة.

ومن جهة ثانية فإن أنصار هذا الإتجاه،بعد أن أكدوا على أن الأشياء والعمليات المختلفة والمتمايزة في العالم،ماهي إلا تجليات لواقع أكثر عمقاً ،أكدوا أن جهلنا بهذا الواقع هو الذي يحدد فهمنا للعالم،فنحن في هذه الحالة نموضع العالم ونشاهد الواقع بشكل متعدد في آلاف الأشكال.

وبهذا الشكل فإن هؤلاء الحكماء أقاموا فلسفتهم من ناحية على التمييز بين الواقع وبين ما يظهر على إنه واقع، ومن ناحية ثانية على القول أن المرء قد يخلط بين البنى والأشكال الموجوده من حوله وبين الواقـــع المطلق، فيعتقد بهذا الخلط واقعية تلك الأشياء بدلاً من التأكيد على أنها مفاهيم خلقها الإدراك التجريبي الذي لا يدرك ما حوله إلا كقطع مستقلة وكيانات متباعدة.

فالإنسان بالنسبة لهم يدرك الأشياء في صورها التي تعرض عليه في الزمان والمكان،ويفكر فيها على أساس النسبية والتغير،وهذا الجهل لا يرتبط إلا بطريقة إدراكنا نفسها.

أما أنصار الاتجاه الثاني،أي الذين قدموا نظرية ثنائية لتفسير العالم.فإنهم لم يرضوا ماذهب إليه أنصار الإتجاه الأول،وبينوا لنا أن العالم المدرك هو عالم حقيقي،ويوجد بصورة مستقلة عن معرفتـــه،وذلك أنـــه إذا وجد شيء ليعرف ،فهناك إذن موضوع يوجد على نحو مستقل عن الإدراك،وذلك أنه من الممكن ربطه بمن يقوم بالمعرفة على نحو يصبح معه مدركاً ومعروفاً،ومن ثم فإنه لا بد – بالنسبة لهؤلاء — من التسليم بالوجود الواقعي الحقيقي للعالم الذي تجري معايشته وتجربته،إذا زعمنا بأن هناك معرفة حقاً.

كما إنهم عوضاً عن تلك النظرة الواحدية،قالوا بنظرة ثنائية،وبينوا من خلالها أن العالم يحتوي على عدد لا يحصى من الجواهر بعضها مادياً والآخر روحياً،وإنه من خلال تأثير الجواهر الروحية على الجـــواهر المادية،بدأ توازن العناصر المكونة للجواهر المادية بالإختلال،وبهذا الإختلال ظهر العالم الفيزيائي.

كما ذهب فريق آخر من أنصار هذا الإتجاه إلى القول بأن العالم مليء بعدد لا يحصى من الـــذرات، وأنه من اجتماع تلك الذرات مع بعضها البعض،و ذلك بتأثير من قوة غير مشخصة أوقانون خفي،ظهـــرت الموجودات في العالم الفيزيائي،كما بينوا أن تلك الموجودات قابلة للتغير أما الذرات فلا.

أما أنصار الإتجاه الثالث أي من رفض الرأيين،فإنه قد ذهب إلى القول باستحالة وجود أي شـــيء مطلق،وأكد بأن كل شيء في العالم متغير ومشروط ونسبي،وفي حالة من التدفق المستمر.

وفي الواقع إن الأنساق التي قدمها المفكرون في الهند لم تقتصر على البحث في الطبيعة وفيمـــا وراء الطبيعة،بل اهتمت بالإنسان وركزت على تلك المشكلات النابعة عن وجوده في العالم،و بحثت عن الســـبل والوسائل التي تفضي إلىحلها،وعلى الرغم من أنها اتخذت الحدس وسيلة للمعرفة إلا أنها لم تنكر أهمية العقل والمعرفة العقلية،ولكن العقل بالنسبة لها،كان عاجزاً عن إدراك الحقيقة المطلقة،وكل ما يستطيعه هو أن يشير إليها فقط.

وليس هذا فقط بل سعوا إلى تحريره وإخراجه من الشقاء والألم وتحريره من الولادة الثانيـــة،فالروح بالنسبة لهم كانت لا تموت أو تفنى،بل كانت تموت وتولد على نحو متكرر وتبقى هكذا إلى أن تحقق انعتاقها الكامل من ذلك التكرار،ومن أجل مساعدة الروح على تحقيق ذلك الإنعتاق،قدموا لها مجموعة من الطـــرق والوسائل.

فأكد بعضهم على أن الروح لا تنعتق من ذلك التكرار،إلا إذا اندمجت بالواقع المطلق وأصبحت معه واحدة.في حين أكد بعضهم الآخر على أن تحقيق هذا الغاية لا يتحقق،إلا بعد أن يتم فهم الرغبة والتحكم بها عن طريق الإرادة.

وقد تحتم على أنصار الفريق الأول من هؤلاء،وذلك بعد أن أدركوا الطبيعة المزدوجة للنفس— فهناك بالنسبة لهم نفس تجريبية وأخرى روحية،وقد ترتب على هذه الطبيعة المزدوجة للنفس اختلاف الشخصـــيات لدى الأفراد — أن وضعوا عدة طرق ،تحقق الغاية المنشودة أي الخلاص،وهذه الطرق هي التالية:

طريق العبادة: أي الطريق القائم على ذكر الله وحبه.طريق العمل:أي الطريق البعيد عـــن الأنانيـــة والجشع.طريق المعرفة:أي الطريق الذي يحث المرء على أن يعرف ذاته،فبمثل هذه المعرفة يتجـــاوز الإنســـان جهله المطبق الذي أدى به إلى موضعة العالم،ويعرف كل شيء ويصبح أيضاً ذلك كله.وهناك طريق أخيرأكد أصحابه على قيمة الحياة الإجتماعية،شددوا على أن التنظيم الطبقي للمجتمع ،والعمل الإيجابي البعيـــد عـــن الأنانية،هو الطريق الأساسي المفضي إلى تحقيق الحياة الروحية، فالإنسان بالنسبة لأنصار هذا الإتجاه لا يمكنه أن يعيش على نحو مستقل عن المجتمع،ولهذا كان لا بد من تنظيم المجتمع من أجل الإرتقاء بالإنسان إلى أعلى درجات الحياة الروحية.

وعن الفكر الصيني:فقد رأينا كيف توصل فريق من مفكريهم أثناء بحثه في العالمين الفيزيقي والميتافيزيقي إلى أسمى درجة من درجات الفكر المثالي.

فقد ذهب هذا الفريق إلى القول بوجود حقيقة أزلية مجردة سابقة على وجود الأشـــياء المختلفـــه والمحددة الموجودة في العالم،وتلك الحقيقة بالنسبة له كانت العلة الفاعلة التي ستمنح الوجود للأشياء الموجودة في العالم،إلا أن هذه الحقيقةكما بين لنا هذا الفريق لم تكن تعمل كعلة مفارقة ومتحكمة بالعالم عن بعد،بل كانت تعمل من خلال قوة كونيةواحدة متنوعة في تجلياتها.

فهذا الفريق قد اعتبر أن تلك العلة،كانت من جهة تحل في المظاهر الكونية المتنوعة،ومن جهة ثانيـــة كانت توجد خارجها،فهي بالإضافة إلى كونها منتشرة في كل جزء من أجزاء الكون،وتعتبر بالنسبة لـــذلك الجزء القانون الخاص الذي ينظم حركته ويجعلها في توافق وانسجام مع بقية حركات الأجزاء الكونية الأخرى ،فإنها في الوقت ذاته تمثل الوحدة المطلقة التي تصب فيها كل القوانين الجزئية لتغدو بذلك القـــانون الكـــوني مصدر كل القوانين الجزئية.

و لم يقتصر هؤلاء على هذا، بل انتهوا من نظريتهم هذه إلى تأكيد الفكرتين التاليتين:

الفكرة الأولى:تبين بأن كل شيء من الأشياء كان يحتوي في داخله على نقيضه،ولذلك فان الشيء بعد أن يتطور ويصل إلى غايته القصوى فإنه يعود مستديراً ويصبح نقيضه،وذلك وفقاً لحركة لولبية دائمة.

كما اعتبروا أن هذا التناوب الأبدي هو العلة الفاعلة التي حققت الوجود الخارجي للعالم.

الفكرة الثانية:تقول أن انبثاق العالم وصدوره عن تلك الحقيقة المطلقة، لم يتم وفق حركة إرادية نابعة عن خطة مسبقة في عقل مستقل ومفارق،بل ترجع إلى حركة تلقائية عفوية لا إرادية طبيعية ،تشبه حركة الماء في عملها ،فالماء يتدفق وفقاً لقانونه الذاتي،ومن دون أية خطة مسبقة،وبتدفقه هذا يسقي ما لا يحصى من الكائنات،وهو يفعل هذا بسهولة ومن غير جهد،وبالتالي فإن انبثاق العالم وفقاً لهذه الحركة ،لا يعني إلا أن العالم قد انبثق من الداخل إلى الخارج،كما هو الحال في النبته،حيث تتشكل أجزائها وتتكامل في كلٍ موحد ،وذلك انطلاقاً من الباطن الذي يتجه إلى الخارج.

وبالإضافة إلى هاتين الفكرتين فإن العالم بالنسبة لهم كان قد انبثق بشكل متزامن معاً،وعبر عددٍ لا يحصى من العناصر المترابطة مع بعضها البعض،بحيث لا يمكن فصل أي عنصر من العناصر عن مجموعة العناصر الأخرى المرتبطه معه والمكونه للعالم.

ورأينا كذلك أن كونفوشيوس كان أول من أدرك أن الفرد هو أساس المجتمع،وانه عندما يتمكن من تطوير الفرد ،فأنه سيضمن تحقيق المجتمع المثالي.فالمجتمع بالنسبةله لم يكن إلا مجموعة من الأفراد،ولهذا فإنه إن صَلحَ الفرد، استقامت الأسرة،ونهض بالتالي المجتمع والدولة على أساس سليم.

ولهذا السبب كانت الغاية الأساسيةمن فلسفة كونفوشيوس الأخلاقية والتربوية تطوير الفرد والإرتقاء به إلى مصاف الإنسانية.

ففي فلسفته الأخلاقية شدد على ضرورة أن يدرك الإنسان القانون الأخلاقي الكامن فيه،وأن يعمل على تطبيق هذا القانون في علاقته مع الآخرين،فالله بالنسبة له بعد أن خلق القانون الأخلاقي أورثه بدوره لعقل الإنسان فأصبح بمثابة الجوهر الثابت الذي لا يتغير والفطرة السليمة التي لا تتحول.

وكذلك فإنه في هذا المجال قد بين للإنسان ضرورة الإبتعاد عن الإفراط والتفريط في الحياة،واتباع الفضيلة الوسط،والوسط بالنسبةله يعني امتلاك الفضيلة التي تحقق لمالكها البعد عن أي شكل من أشكال الإنحراف الأخلاقي.

أما على صعيد فلسفته التربوية:فقد شدد على أهمية عملية التعلم والتعليم،وبين دور العلم في اصلاح المجتمع.

فكونفوشيوس بعد أن استنبط من أحداث عصره بأن عدم الوعي كان واحداً من العوامل الجوهرية وراء فساد مظاهر الحياة المختلفه في حينه،اتجه بفكره نحو تثقيف أبناء شعبه وتنمية ملكاتهم الذهنية وتثقيف

عقولهم وتوسيع مداركهم،بالإضافة إلى ضبط ميولهم وغرائزهم،محاولاً من ذلك كله خلق شخصيات مزوده بقيم الحرية والعدالة وسائر قيم التقدم الأخرى،تلك القيم التي تحقق بدورها حياة مثالية ومجتمع مثالي.

أما الفكر الفارسي: فقد رأينا أن المفكرين في تلك الحضارة قد قالوا بمفهوم الخير المطلق، وانتهوا من بحوثهم إلى القول بمفهوم الأزلية والسرمدية.

ورأينا كذلك أن البعض منهم قد أضاف إلى هذا المبدأ مبدأً آخر،وانتهى إلى القول بقدم المادة،كما بين لنا بأن العالم المادي سوف يظهر للوجود نتيجة لإمتزاج هذين المبدأين أي النور والظلمة ،الروح والمادة، الخير والشر،كما ذهب أنصار هذا الإتجاه إلى أن الروح بعد هذا الإمتزاج سوف تفقد شعورها بطبيعتها الأصلية، فطرح لهذا مفهوم العرفان أو الغنوص لخلاص الروح وانعتاقها من أسر المادة.

وكذلك فإن المفكرين في فارس،قد تصدوا لمشكلة وجود الشر في العالم،وفي سياق محاولتهم الإجابة عن هذا التسائل،قدموا العديد من التصورات.وقد اشتركت تصوراتهم هذه فيما يلي:

أنها من جهة اشتركت بالقول بوجود مبدأين أحدهما للخير والآخر للشر،ومن جهة ثانيةجسدت تلك المبادئ في شخصيات ما ورائية كبرى،ومن جهة ثالثة أكدت دور وفاعلية كل واحد من تلك المبادئ في جعل نمط العالم كاملاً،فالعالم من دون أن يكون هناك صراع بين قوتي الخير والشر يصبح عالماً من دون معنى،فكيف يمكن لنا أن نتذوق جمال النهار من دون أن نعرف رهبة الليل.

وعلى هذا الأساس فإن المفكرين في الحضارة الفارسية القديمة كانوا أول من حاول أن يقدم تفسيراً مقبولاً لوجود الشر في العالم.

وفي الحقيقة، إنه على الرغم من اتفاقهم هذا ،إلا أنهم قد اختلفوا في قدم المبدأين،ففي حين أكد بعضهم على أزليتهما،فإن بعضهم الآخر قد بين أن هذين المبدأين قد صدرا معاً عن أصل واحد لا تمايز فيه،وهذا الأصل يجاوز كل الثنائيات،ويمثل ألوهة أزلية كاملة وتامة قائمة بذاتها ومكتفية بنفسها،ومن تلك الألوهة كما بينوا صدرت روحان توأمان،إلا أن هذين الروحين قد وهبا منذ البداية حريتهما الكاملة،التي ميزتهما عن مصدرهما وجعلت منهما كيانين مستقلين ومتمايزين عن بعضهما البعض.

وكذلك فإن المفكرين في فارس اهتموا بالإنسان،وبينوا دوره بالعالم واعطوه إمكانية الفعل والإرادة، فالإنسان منذ أن وجد كان مزوداً بحرية الإراده ولديه المقدرة على الإختيار بين الخير والشر،فهو لا يعاني من التقيد والجبرية،كما أن حريته هذه قد استدعت مسؤوليته ،التي استدعت بدورها محاسبته.

وكذلك اعتبروا أن الإنسان شريك لله في المشروع الكوني الرامي إلى مكافحة الشر والقضاء عليه ، فالإنسان لا يساهم في خلاص نفسه فحسب وإنما يساهم في خلاص العالم كذلك.

وبهذا الشكل يتضح لنا أن المفكرين في الحضاراة الشرقية القديمة قد تصدوا لمعظم المشكلات التي كانت ومازالت إلى يومنا هذا تحير عقول المفكرين.وفي مواجهتهم لتلك المشكلات قدموا الكثير من التصورات الفكرية المختلفة.

وقد رأينا بأن الحضاراة الشرقية القديمة قد توصلت إلى القول بمفهوم الأزلية والسرمدية،وقالت بمفهوم الحلول،وأكدت وحدة الله والعالم،وأبدعت فكرة اللوجس ،وتساءلت فيما إذا كان العالم الخارجي ذا وجود حقيقي أم كان عبارة عن وهمٍ من أوهام الإدراك الحسي،وناقشت مشكلة وجود الشر في العالم الخارجي، وبحثت في مشاكل الإنسان وتوصلت إلى القول بمفهوم التناسخ،وعرفت الفكر الإحتجاجي،وسعت إلى تغيير الواقع المعاش، وأكدت على ضرورة اصلاح الفرد من أجل اصلاح المجتمع.وغيرها من التصورات التي لا تدل إلا على عمق الرؤية التي قدمتها الحضارات الشرقية القديمة.